

التكيف الادراكي

كثر جدل الباحثين من مختلف العلوم حول الاجابة على التساؤل الاتي وهو (هل يغير الانسان سلوكه لكي يتكيف مع البيئة التي يتواجد فيها ام أنه يسعى لتغير تلك البيئة لكي تتناسب مع متطلباته وحاجاته المعيشية المختلفة)، والحقيقة أن الاجابة على هذا التساؤل تتحدد اذا عدنا إلى ما لدى كل فرد من قدرات واستعدادات وحده كفرد في حد ذاته او كجماعة مركبة من مجموعة من الأفراد لوجدنا أن استخدام الانسان لقدراته مكنه عبر اجيال متعاقبة وحضارات متجددة أن يلعب الدورين معاً، الدور الذي يستجيب فيه الفرد للبيئة المحيطة به ويغير من سلوكه حسبما تقتضيه ظروف ومواقف تلك البيئة، والدور الذي يستطيع الفرد أن يغير او على الأقل يستمر في محاولات التغيير الى أن يتمكن من تغيير تلك البيئة المحيطة به .

ويتفق العديد من الباحثين في مجالات علم النفس المختلفة على أن سلوك الإنسان هو محصلة التفاعل بين الانسان والبيئة التي يعيش فيها، كما يتفقون على أن السلوك انما يصدر عن الفرد كنتيجة لعدد من العمليات التي يقوم بها، فالإنسان (يحس، يدرك، يعرف، يتخيل، يفكر) وغير ذلك من العمليات، وهي في مجموعها تقوم بدور فعال في استثارة وتوجيه الفرد لسلوك ما دون سواه، هذه العمليات العقلية اكتسبت أهمية بالغة في تراث علم النفس على مر العصور، ولكل منها العديد من البحوث والدراسات، وان أحد هذه العمليات العقلية ذات الأهمية والتأثير على غيرها من العمليات العقلية بصفة عامة ألا وهي عملية الادراك.

. الادراك

يعرف الادراك بانه (عملية عقلية نتعرف بوساطتها على العالم الخارجي المحيط بنا وذلك عن طريق ما تلتقطه حواسنا من مثيرات مختلفة (ضوء، صوت، حرارة، حركة وغيرها)، ويتضمن هذا التعريف عدة جوانب، منها أن الفرد يحس أولاً بما يتعرض له من مثيرات، هذا الاحساس هو الاستجابة الأولية للمثيرات البيئية المختلفة، يلي ذلك قيام الفرد بتنظيم وتقييم وتفسير ما أحس به وفق ما لديه من خبرات حول تلك المثيرات، وعندئذ يكون قد تكون لدى الفرد الادراك الذي يمكن أن يوجه استجاباته نحو تلك المثيرات، ومن هنا توصف هذه العملية (عملية الادراك) بأنها عملية عقلية تنظيمية معرفية وليست مجرد عملية حسية. ولكي تزداد عملية الادراك وضوحاً لنا أن نتصور ثلاثة من المتغيرات التي لا تتوقف عن التفاعل فيما بينها وهي الانسان والبيئة والسلوك، البيئة بخصائصها المميزة وما يصدر عن مثيراتها من اشارات، الانسان بما لديه من خبرات ومعلومات وتطورات عقلية مختلفة، والسلوك باعتباره نتاجاً للتفاعل بين الفرد والبيئة، هذه المتغيرات الثلاثة وتفاعلاتها المستمرة هي محور عملية الادراك.

. طبيعة الادراك

ان معالجة المعلومات هو سلسلة من الانشطة التي تحدث بسبب المثيرات يتم تخزينها، وعملية ادركها تتم على النحو التالي:

1. **التعرض:** يتعرض الفرد الى مثيرات مختلفة في حياته اليومية حيث تلتقط حواسه الاشارات المختلفة الصادرة عن كل أو بعض هذه المثيرات، وتتوقف عملية الالتقاط هذه على مدى ما يتمتع به الفرد من تدريب وخبرة في التعامل مع المثيرات بأنواعها.

2. **الاهتمام:** يتم انتقال الاشارات الصادرة عن المثيرات المختلفة إلى العقل البشري بوساطة الحواس، وهنا تجري عملية تنظيم وتقييم وتفسير لما استقبله العقل في ضوء المعلومات والمعايير الاجتماعية التي اكتسبها الفرد من الوسط الذي يعيش فيه، ويتم ربط ما أدرك بالمعلومات المخزنة في شكل صور عقلية

3. **التغيير:** يتم تحويل ما تم ادراكه بعد عملية الفهم والربط الى معرفة جديدة تسهم في تكوين ما يسمى بالخريطة المعرفية للفرد وهي (مجموع ما لديه من معلومات ومعارف عن مثير ما أو أكثر).

وهذه نتيجة طبيعية لعملية الادراك ومن المفترض بعد إتمام الادراك على هذا النحو أن ينزع الانسان الى استجابة ما (سلوك) في مواجهة المثيرات التي تعرض لها، ولكننا نلاحظ أن عملية الادراك تتم في بعض الأحوال دون أن يظهر أو يترتب عليها تصرف أو سلوك معين، وتفسير ذلك هو أن الفرد في بعض المواقف يقوم بتخزين المعلومات الناتجة من عملية الادراك لحين تعرضه للمثير مرة أخرى أو في موقف مشابه، وحينئذ قد يستخدم الاستجابة المخزنة. فعلى سبيل المثال ، عندما تمر أمامك مركبة آلية فانك لا تدرك مجموعة الموجات الضوئية والصوتية التي صدرت عنها فقط، بل تدرك خصائص معينة للمركبة من واقع خبرتك السابقة، خصائص تميز السفينة عن السيارة أو الطائرة، أي أن حواسك وخبراتك السابقة اشتركت في تفاعل تم عن طريقه الوصول إلى ما أدركته.

وهنا تجدر الاشارة الى أن عملية الادراك ليست عملية بسيطة، فهي تتضمن ثلاثة جوانب أساسية

متداخلة:

1. **عمليات حسية،** بمعنى اثاره الجهاز العصبي بالإشارات الصادرة عن المثيرات الحسية (صوت، ضوء، حرارة، حركة، شخص آخر . . . وغير ذلك من المثيرات).

2. **عمليات رمزية،** بمعنى أن ما يتركه المثير من أثر على جهازنا العصبي يتحول إلى رمز نسترجع به صوراً ذهنية بصرية أو سمعية عن المثيرات التي سبق أن مرت في خبراتنا.

3. **عمليات وجدانية،** بمعنى أن عملية الادراك لا تتم إلا وتكون مصحوبة بحالة من السرور أو الفرح أو الخوف أو الحزن أو غيره من الانفعالات.

. العوامل التي تؤثر في عملية الإدراك (العوامل التي تساعد أو تعوق اتمام عملية الإدراك)

يتفق معظم الباحثين في الدراسات النفسية، على أن عملية الإدراك تتأثر بالعديد من العوامل والتي يمكن تصنيفها إلى عوامل داخلية وعوامل خارجية، وسوف نتناول فيما يلي هذه العوامل وكيفية تأثيرها على عملية الإدراك.

1. العوامل الداخلية

ونقصد بها مجموعة العوامل التي تؤثر في الشخص المُدرك أثناء عملية الإدراك والتي تتبع من ذات الشخص نتيجة ما يشعر به من تفاعل بين العمليات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي يعيشها. وتتحدد هذه العوامل في ثلاثة عوامل أساسية هي:

أ- الحالة النفسية للشخص المدرك:

أي الحالة التي يشعر بها الشخص المُدرك أثناء استقباله لمثير ما وتفاعله معه، هل هو في حالة من الرضاء والسرور أم في حالة من الضيق والاكتئاب، هل هو في حالة عقلية أو جسمية تسمح له بادراك هذا المثير أم أن قدراته العقلية أو الجسمية تكاد تكون عاجزة عن اتمام عملية الإدراك لسبب أو لآخر كما تتأثر الحالة النفسية للفرد أثناء ادراكه للمثيرات المختلفة بما لديه من ميول أو اتجاهات وقيم تجاه الشيء المدرك وتحدد نوعية الإدراك في ضوء سلبية أو ايجابية هذه المكونات النفسية.

ب- توقع الفرد للمثير من عدمه:

أي أن ادراك الفرد لمثير ما يتأثر بما اذا كان هذا الفرد في حالة توقع لتعرضه لهذا المثير بكيفية معينة أم أن هذا المثير قد واجهه بشكل مفاجئ لم يكن ينتظره، حيث أن التوقع يلعب دوراً هاماً في تفسير عملية الإدراك، فكلما كان الفرد مهياً لاستقبال مثير معين كلما كان تهيؤه هذا في صالح عملية الإدراك ذاتها، على سبيل المثال. فان توقع فرد لمكالمة هاتفية هامة من صديق له تجعله أقدر على دراك صوت التلفون وتميزه عن غيره من الأصوات الأخرى مهما تعالت تلك الأصوات.

ج- خبرة سابقة حول المثير المدرك من جانب الفرد:

اي ان ما لدى الفرد من معلومات وصور عقلية مختلفة مخزونة لديه عما يواجهه في الحياة من مواقف متنوعة (مثيرات) تتدخل بشكل حاسم في تحديد هوية المثير المدرك، وكلما كان هذا المثير المدرك على صلة بما اختزنه العقل سابقا كلما تيسرت عملية الإدراك، وكلما كان هذا المثير المدرك جديدا وليس له صور عقلية سابقة كلما كانت عملية الإدراك أصعب وتحتاج إلى جهد أكبر، على سبيل المثال. تعتمد درجة استعادة الفرد عند حضوره لمناقشة علمية أو اجتماعية على ما لديه من

قراءات ومعلومات سابقة حول موضوع المناقشة، فتجد أن الفرد ذا الخبرة والملم بالموضوع يخرج بمدرجات أوسع وأدق من فرد حضر نفس المناقشة بدون أي خبرة سابقة عن الموضوع. وحتى إذا استفاد الأخير فإن استفادته تكون أقل.

2. العوامل الخارجية

ونقصد بها مجموعة العوامل التي تتصل بالمشير المدرك نفسه والتي تحيط بالفرد و تسهم في تحديد ردود فعله (سلوكه) وهي:

أ- **شدة المثير:** ان ادراكنا للصوت المرتفع يكون أسرع من ادراكنا للصوت المنخفض لو تساوت الظروف الأخرى، كما أن ادراكنا للضوء المبهر أسرع من ادراكنا للضوء الخافت وهكذا.

ب- **تكرار المثير:** أن عرض اعلان معين على مسافات محددة ولعدد كبير من المرات يترك أثراً أكبر على ادراك الشخص، مما يؤدي إلى فهم الرسالة التي يعبر عنها الإعلان مما لو كان الاعلان لمرة واحدة أو لمرات غير منتظمة.

ج- **درجة الاختلاف بين المثير وعدد من المثيرات المحيطة به:** ان الفرد يسهل ادراكه لبناية من عشر طوابق بين مجموعة من المنازل لا يتعدى ارتفاعها ثلاثة طوابق، كما أنه يسهل علينا أن نميز الشخص طويل القامة بين مجموعة قصار القامة مثلاً.

د- **حركة المثير:** ان الإعلان الذي يضم مجموعة من الصور المتحركة يكون أسرع في الادراك مما لو تضمن الاعلان نفس المجموعة من الصور بشكل ثابت.

هـ- **حادثة المثير:** يسهل على الفرد أن يلتفت إلى المثيرات التي تقابله لأول مرة مقارنة بالمثيرات التي تعود على التعامل معها مما يساعد على سرعة عملية الإدراك.